

الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر ونتائجها (1775-1792م)

The Spanish campaigns on the city of Algiers and their results
(1775-1792 AD)عبد الرؤوف بن قاصير¹

جامعة محمد خيضر - بسكرة-

abderaouf.benkacir@univ-biskra.dz

تاريخ الوصول 2022/12/22 القبول 2023/05/03 النشر على الخط 2023/06/05

Received 22/12/2022 Accepted 03/05/2023 Published online 05/06/2023

ملخص:

لقد ارتبطت إيالة الجزائر خلال العهد العثماني بعلاقات شتى مع الدول الأوروبية، فدخلت بذلك مع بعض الدول في صراع عسكري حامي الوطيس، بينما شهدت علاقات ودية مع دول أخرى، إلا أن العلاقة التي ربطت إيالة الجزائر مع مملكة إسبانيا فقد غلب عليها الصراع العسكري الطويل، والذي دام حوالي ثلاثة قرون متعاقبة من الزمن (1492-1792م)، وعليه فقد اشتد هذا الصراع خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي، والتي قامت من خلاله مملكة إسبانيا بشن مجموعة من الحملات العسكرية على مدينة الجزائر، وهذا رغبة منها في إخضاع الداوي محمد بن عثمان باشا وإيالة الجزائر إلى سيطرتها وبالتالي إحتلال السواحل الجنوبية للبحر المتوسط الذي كان الهدف الأسمى للممالك المسيحية، ولأجل هذا قمنا في هذه الورقة البحثية بدراسة هذه الحملات ومجرياتها ونتائجها سواء على إيالة الجزائر من جهة و مملكة إسبانيا من جهة أخرى، وهذا ما سوف نفصل فيه في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الأميرال أوريلي؛ الدون أنطونيو؛ إسبانيا؛ مدينة الجزائر؛ الداوي محمد بن عثمان باشا.

Abstract:

During the Ottoman era, the Eyalet of Algeria linked various relations with European countries, thus entering with some countries in a fierce military conflict, while it witnessed friendly relations with other countries, but the relationship that linked the Eyalet of Algeria with the Kingdom of Spain was dominated by the long military conflict, which lasted about three consecutive centuries of time (1492-1792 AD), and therefore this conflict intensified during the second half of the eighteenth century AD, through which the Kingdom of Spain was established. By launching a series of military campaigns on the city of Algiers, and this is in its desire to subject the Dey Muhammad ben Othman Pasha and the Eyalet of Algiers to its control and thus occupy the southern coasts of the Mediterranean, which was the ultimate goal of the Christian kingdoms, and for this we have in this research paper studied these campaigns and their course and results, both on the Eyalet of Algeria on the one hand and the Kingdom of Spain on the other, and this is what we will detail in this study.

Keywords: Admiral Orelly, Don Antonio, Spain, city of Algiers, Dey Muhammad ben Othman Pasha, Ottoman era.

1. مقدمة:

لقد تعددت العلاقات التي ربطت إيالة الجزائر خلال العهد العثماني مع الأمم الأوروبية، حيث نجد أن إيالة قد شهدت مع بعض الدول علاقات سلمية كفرنسا والسويد والدويلات الإيطالية، بينما دخلت إيالة مع دول أخرى في صراع عسكري مثل ما حدث مع الدانمارك وإسبانيا، إلا أن الصراع العسكري مع مملكة إسبانيا إستمر لزمان طويل لمدة تجاوزت ثلاثة قرون متوالية (1492-1792م).

وعليه فقد شهدت مدينة الجزائر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي ثلاث حملات إسبانية متتالية (1775، 1783، 1784م) من أجل إجبارها على الإستسلام والرضوخ للقوى الأوروبية، وعليه فإن هذه الحملات كانت بمثابة مشروع تكميلي لفصول الحروب الصليبية التي توقفت بالمشرق الإسلامي لتبدأ بمغربه وبالتحديد السواحل الغربية للبحر المتوسط وجعلها بحيرة نصرانية، وبالتالي تمثل نقطة انطلاق نحو إحتلال مناطق أخرى من العالم.

وسوف أستعرض في هذه الدراسة التفاصيل التاريخية لهذه الحملات واحدة تلوى الأخرى مبينا الدوافع التي أذت إلى شن إسبانيا لهذه الحملات بشكل متوالي وكذا المجريات التي سارت عليها و أخيرا النتائج التي ترتبت عن كل حملة من هذه الحملات الإسبانية الثلاثة على مدينة الجزائر، وكذا جهود الداوي محمد بن عثمان باشا ومعاونيه من البايات في الدفاع عن كل شبر من المدينة، ومن هنا نطرح الإشكالية المحورية لهذه الدراسة، وهي على الشكل التالي: هل حققت إسبانيا مشروعها الإستراتيجي من خلال هذه الحملات؟، وتنطوي تحتها عدة تساؤلات فرعية وهي:

- فيما تمثلت أسباب هذه الحملات؟.
 - وكيف تعامل الداوي محمد بن عثمان باشا مع الحملات الإسبانية؟.
 - فيم أفضت نتائجها؟.
- حيث تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الوقائع التاريخية حول هذه الحملات من خلال المصادر المحلية و المصادر الأجنبية التي عايشت هذه الأحداث من تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

2. حملة الكونت أوريلي:

يعود تاريخ ظهور هذه الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي وهذا حينما أمر الداوي محمد بن عثمان باشا¹ بحصار مدينة وهران، الخاضعة تحت السيطرة الإسبانية منذ 1509م¹، وزيادة على هذا شجع البحرية الجزائرية على مهاجمة السواحل الإسبانية، ونتيجة لذلك فقد تجمع في مدينة الجزائر ما يزيد على عشرة (10) آلاف أسير من إسبانيا وكذا من الأمم الأوروبية الأخرى، وإزاء هذا قرر كارلوس الثالث (Carlos III) ملك إسبانيا (1759-1788) أن يقوم

¹ - احتل الإسبان مدينة وهران وهذا لتوسيع قاعدتهم الاستراتيجية بعد أن احتلوا المرسى الكبير سنة 1505م، فنزل المشاة إلى ساحل وهران يتقدمهم الكاردينال " اكزيمينيس " ورهبانه رافعين الصليب وكان هذا يوم الجمعة 17 ماي 1509 م ، لكنهم سرعان ما دخلوها بواسطة اليهودي " سطورا " الذي تمكن من فتح باب المدينة للإسبان بمساعدة الخائنين " عيسى العربي " و " ابن قانص " ... للمزيد أنظر أسماء ابلاي، " التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 16هـ / 16م قراءة في الدوافع والنتائج "، مجلة روافد للبحوث والدراسات ، العدد 02، جامعة غرداية، 2017، ص44.

بحملة عسكرية كبيرة على مدينة الجزائر سنة 1189هـ / 1775م¹، وحسب ما جاء به "دوغرامون" (De grammont) فإن كارلوس الثالث قام بجمع أسطولاً يتكون من ست (06) سفن كبيرة، أربعة عشر (14) فرقاطة، وثلاثمائة وأربعة وأربعون (344) سفينة نقل محملة على متنها إثنان وعشرون ألف (22000) مقاتل، حيث كان الأسطول تحت قيادة الكونت أوريلي (Orelly)²، وعليه فقد كان مكان المغادرة ميناء قرطاجنة في يوم 15 ماي 1775م، لكن بسبب سوء الأحوال الجوية فقد تأخرت حتى 23 جوان 1775م، وقد وصلت هذه الحملة إلى سواحل مدينة الجزائر يوم 01 جويلية 1775م³، أما عن مكان نزول هذه الحملة فيقول "فانتير دي باردي" (Vanture de Paradis) أنها نزلت بغرب الحراش بالنهر المعروف باسم "أراخ"⁴.

أما في الجهة الأخرى أي مدينة الجزائر فكانت الاستعدادات تجري على قدم وساق، فقد أمر الداوي محمد بن عثمان باشا جميع قواته العسكرية (البرية والبحرية) بالاستعداد بل وتعدى ذلك إلى تجنيد الصبية اللذين تتجاوز أعمارهم السبع (07) سنوات في أعمال الدفاع عن المدينة⁵، كما شارك في التصدي لهذه الحملة كل من مصطفى باي التيطري حيث قدم بجيشه من جهة تامنغوست، وصالح باي من الجهة اليمنى لواد الحراش على رأس جيش كبير⁶ وقد وقفا جنبا إلى جنب مع الداوي محمد بن عثمان باشا في التصدي لهذه الحملة⁷.

وفي هذا الصدد يذكر "صاحب الزهرة النائرة" فيقول: "وبعده محمد باشا بعث إلى صالح باي صاحب ناحية الشرق، لأنه كان نبهه أن لا يفارق ناحية حمزة⁸، بحيث يأتي إلى الجزائر في يومين أو ثلاثة، إذا أمرناه بالقدوم إلينا، وكذلك باي ناحية تطرة، وكذلك بعث إلى خليفة ناحية الغرب..."⁹.

وعملا بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"¹ فقد بدأت المعركة بين الطرفين، فقام الداوي بتقسيم القوات المتواجدة بما يضمن حماية كل أطراف المدينة²، وقد استمرت

¹ - صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر - تونس - المغرب الأقصى)، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط06، 1993، ص39.

² - هو جندي متميز وعضو من عائلة ذات أصل إيرلندي أصبحت متمركزة بإسبانيا، قام بحملة على مدينة الجزائر سنة 1775م. للمزيد أنظر (جون - ب - وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830م)، ترجمة وتعريب: أبو القاسم سعد الله، دار عالم المعرفة، الجزائر، (طبعة خاصة)، 2009، ص403.

³ - De grammont, Histoire d'alger sous la domination turque (1515-1830) Ernest le toux, éditeur 28, rue Bonaparte, paris, 1887, p. 324-325.

⁴ - Vanture de Paradis, Alger au XVIII e siècle, édition Bouslama, Tunis, (s,d), p.165 16-6.

⁵ - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954، دار الأمة، الجزائر، ط01، 2011، ص408.

⁶ - Ercumend kuran, « l'expédition espagnole contre Alger en 1775, d'après les manuscrits Turcs », revue d'histoire Maghrébine, n 35- 36, décembre, Tunis, 1984, p.p.175 - 176.

⁷ - مؤلف مجهول، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، دراسة وتحقيق: رياض بولحيال رسالة ماجستير في الدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2009-2010، ص45.

⁸ - هي مدينة البويرة حاليا.

⁹ - محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجليلاني بن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تعليق: خير الدين السعيد الجزائري، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2017، ص ص140-141.

استمرت هذه المعركة مدة إحدى عشر (11) يوم وقد استعملت فيها كل الوسائل والحيل من طرف الإسبان للوصول إلى هدفهم لكن من دون جدوى تذكر³، حيث انتهت المعركة بانتصار الجزائريين على الإسبان اللذين رجعوا بدورهم خائبين ومهزومين مرة أخرى، وتحطمت آمالهم على أسوار مدينة الجزائر، التي بقيت صامدة بفضل عبقرية الداوي محمد بن عثمان باشا ومعاونيه⁴. ومن نتائج هذه الحملة:

- خلفت خسائر مادية وبشرية من الجانب الإسباني، وقد اعتبرت نكبة في حق الإسبان⁵، حيث قتل لها ما بين أربعة (04) وعشرة (10) آلاف رجل وغنم الجزائريون حوالي ستة عشر (16) مدفعا، و إثنان (02) قطعة رمي و أربعون (40) ألف قذيفة، وكميات كبيرة من الذخائر والبنادق والأخشاب والملابس وبعض المراكب المعطوبة التي خلفها الإسبان وراءهم⁶.

- فشل الإسبان بقيادة الكونت أوريلي في احتلال مدينة الجزائر وخيبة آمال الملك كارلوس الثالث في تحقيق أمنية لا طالما حلم بها أجداده من الملوك، وهي إخضاع المدينة لسلطة الإسبان⁷.

- سطوع نجم الداوي محمد بن عثمان باشا في كامل العالم الإسلامي، وأصبح مشهورا ومحجوبا في قلوب الرعية وهذا بفضل الجهود التي بذلها من أجل إحراز النصر على الأعداء، حيث يعلق "دوغرامون" عن هذا فيقول: "لم يترك الداوي محمد بن عثمان أي شيء للصدفة من خلال التحصينات التي قام بها"⁸، وهذا راجع إلى التخطيط الحربي الذي قام به الداوي وحتى لا ننسى أنه كان يقوم باستشارة معاونيه من البايات الذين عرفوا بالحنكة العسكرية أمثال: صالح باي قسنطينة.

3. حملة الدون أنطونيو الأولى والثانية:

بعد فشل حملة الأولى بقيادة الكونت أوريلي سنة 1775م، سعت القوات الإسبانية في إعداد حملة جديدة على أمل تعويض خسائر الهزيمة السابقة⁹، وعلى حسب ما ذكره "جيرونيمو كونستاجيو" (Jeronimo Conestaggio) أن إسبانيا لم تياس في محاولاتها العديدة في الاستلاء على مدينة الجزائر مروراً بزمعمتها في حملة أوريلي 1775م، وقد بدأت بالاستعداد لشن هجمات

¹ - سورة التوبة/ الآية 123.

² - خير الدين سعيدي، " الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518 - 1775م) من خلال مخطوط - الزهرة النيرة - لأبن رقية التلمساني"، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 29، جامعة إسطنبول، السنة التاسعة، ديسمبر 2017، ص 100.

³ - يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في الأرشيف الوطني لمدرسة (1780 - 1798م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 22.

⁴ - الطاهر تومي، "حملة الكونت أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775م"، مجلة الحوار المتوسطي العدد 13 - 14، ديسمبر 2016، ص 267.

⁵ - حياة فنون، "التواجد الإسباني في الغرب الجزائري خلال الفترتين العثمانية والفرنسية"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 5، جامعة سيدي بلعباس، 2013، ص 88.

⁶ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 23.

⁷ - الطاهر تومي، المرجع السابق، ص 268.

⁸ - De Grammont, OP.Cit, p.327.

⁹ - بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية، دار النفائس، لبنان، ط 3، 1986، ص 150.

جديدة بقيادة دون أنطونيو بارسيلو (Don Antonio de parcelo) في 1783-1784م¹. لهذا نطرح السؤال التالي : هل نجح الداوي محمد بن عثمان في صد هتين الحملتين؟ وكيف تم ذلك؟.

3-1. حملة الدون أنطونيو الأولى:

لقد رأت المملكة الإسبانية أن الأوان قد حان لتحطيم مدينة الجزائر، وكانت الخطة المرسومة من قبل الإسبان على الشكل الآتي: مهاجمة مدينة الجزائر بحرا بواسطة عمارة بحرية قوية، وتحطيم السفن الجزائرية الموجودة بالمرسى ثم تحطيم الحصون والقلاع الموجودة على مستوى ثغور مدينة الجزائر، وأخيرا الاستلاء على المدينة، وقد اجتمع الأسطول الإسباني في ميناء قرطاجنة قبل الشروع في الحملة²، أما بخصوص يوم انطلاق هذه الحملة فحسب ما جاء به "دوغرامون" فإن الأسطول الإسباني غادر ميناء قرطاجنة يوم 13 جويلية 1783م بقيادة الدون أنطونيو بارسيلو (Don Antonio de parcelo)، حيث كان يضم هذا الأسطول: أربع (04) سفن حربية كبيرة وست (06) فرقاطات، واثنى عشر (12) شبكة، وثلاث (03) قواطع وعشر (10) قوارب حربية، وأربعين (40) قارب مجهز بقاذفات القنابل³.

وفي يوم 29 جويلية من نفس السنة وصل الأسطول الإسباني إلى قبالة سواحل مدينة الجزائر، واصطف للقتال مواجهها للمدينة، وبمجرد وقوف الأسطول رفعت حصون المدينة أعلامها وهذا مؤشرا على بداية المعركة، وقد بادرت سفن الإسبان بإطلاق النار⁴، وفي هذا الصدد يذكر "فانتير دي باردي" فيقول: "في جويلية 1783م قام الإسبان بقصف مدينة الجزائر فأحدثوا فيها الضرر لكنه لم يتعدى إلى السفن الحربية الجزائرية التي بقيت صامدة ضد هذه الهجمات"⁵، لكن فيما يتعلق بالخسائر المادية التي لحقت بمدينة الجزائر أناداك يروي "الزهار" فيقول: "لما كانت سنة 1197هـ قدم الإصبيول للمرة الثانية ... وصاروا يرمون البومبة، وفي ذلك اليوم تهدم الجامع الذي بناه محمد باشا وهو جامع السيدة"⁶.

وقد كان من نتائجها:

- خسائر مادية وبشرية من الجانب الجزائري وهذا من خلال استشهاد نحو ثلاثمائة (300) من الرعايا ومائة (100) من الجنود، زيادة على تهدم نحو ثلاثمائة (300) من بيوت الجزائريين.

¹ - Jeronimo Conestaggio، relation des préparatifs faits pour surprendre Alger, Traduite de L'italien Par H.-D. DE Grammont, libraire-Éditeur Place de gouvernement, Alger, 1882, p.03.

² - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص510.

³ -De Grammont, OP.Cit , p.334.

⁴ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص512.

⁵ - Venture de Paradis, OP.Cit, p.165.

⁶ - أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)، الجزائر، 1974، ص31.

- أما بخصوص الجانب الإسباني لم تحقق هذه الحملة الأهداف المرجوة التي سطرها إسبانيا، وزيادة على ذلك الخسائر المادية والبشرية التي تكبدتها¹، وهذا ما جعل الإسبان يصممون على الانتقام للهزيمتين المتواليتين، وإعداد التجهيزات للحملة الجديدة الموالية.

3-2. حملة الدون أنطونيو الثانية:

بعد هزيمة الإسبان في الحملة الأولى التي قادها الدون أنطونيو بارسيلو (Don Antonio de parcelo)، لم يُضيع الجزائريون وقتهم سُدى، فقد اجتمع الداى محمد بن عثمان مع قواته العسكرية ودرسوا نتائج المعركة السابقة، وعرفوا من خلالها نقاط الضعف في دفاعهم فعملوا على تدارك الوضع ببناء حصون جديدة وإنشاء السفن المدفعية العوامة (النجور)، التي تخرج لقتال العدو، أما في الجانب الإسباني فقد درس هو أيضا الوضعية وقرر الهجوم على مدينة الجزائر لكن هذه المرة بصفة أقوى من سابقاتها، حيث جمع الدون أنطونيو هذه المرة مائة وثلاثون (130) سفينة²، ويذكر دوغرامون فيقول أن هذه الحملة كانت حملة صليبية حقيقية، ويقول أيضا أن الأسطول الإسباني كان يتكون من إحدى عشر (11) سفينة من نابولي، وثمان (08) من مالطا والسفن الباقية من إسبانيا، ويشتمل هذا الأسطول الصليبي على ثلاثين (30) قنبلة و واحد وعشرون (21) غليوطة، وقد منحها البابا المباركة³، حيث غادرت من إسبانيا في 28 جوان سنة 1784م نحو مدينة الجزائر، تحمل معها عواطف وأمال أوروبا المسيحية كلها⁴.

ويضيف "دوغرامون" فيقول: "عندما وصل الدون أنطونيو بارسيلو إلى مدينة الجزائر في 09 جويلية من نفس السنة لم يجد هناك أي أثر واضح لهجومه الأول"⁵، وحسب "شارل فيرو" (L.ch.Fèraud) قام الداى محمد بن عثمان بمحو أثار الحملة السابقة، وهذا في إطار الاستعدادات العسكرية في مواجهة الحملة الجديدة لأنه كان يعلم أن الإسبان لن يهضموا مرارة الهزيمة في المناسبتين السابقتين، فسوف يسعوا إلى الانتقام من جديد⁶.

ولايفوتنا في هذه النقطة بالذات أن نتطرق إلى الذكاء العسكري الذي كان يتحلى به الداى محمد بن عثمان باشا والتخطيط الاستراتيجي الذي عُرف به، وما يدعم الطرح الذي نقوله هو شهادة الأجانب أنفسهم الذين عايشوا الفترة الزمنية التي هي موضوع الدراسة، وعليه فعندما وصل الأسطول الإسباني إلى وسط الخليج على مرأى من مدينة الجزائر بدأ يستعد للقتال، فخرجت له السفن العوامة الجزائرية حاملة المدافع الكبيرة، وأجبرته على البقاء بعيدا عن المدينة بحيث لم تصبها قنابل الإسبان⁷، وهذا ما ذهب إليه "فانتير دي باردري" فقال: "في العام الموالي سنة 1784م قصف الإسبان مدينة الجزائر، لكن قوارب المدفعية الجزائرية تصدت

¹ - بسام العسلي، المرجع السابق، ص 153-154.

² - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 515.

³ - De Grammont, OP.Cit, p.337-338.

⁴ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 515.

⁵ - De Grammont, Op.cit.337.

⁶ - L.ch.Fèraud, « les trois attaques des espagnoles contre Alger au XVIII EME siècle », REVUE AFRICAINE, N20, Alger, 1876, p.313.

⁷ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 115-116.

لقنابل الإسبان بحيث لم تسقط ولا قنبلة على مدينة الجزائر لأن القصف الإسباني كان بعيد جدا عن المدينة"¹، وقد استمرت المعارك هكذا حتى يوم 22 جويلية 1784م حيث راح الاسطول الإسباني ينسحب نهائيا مغادرا ساحة القتال، وفي صباح الغد يوم 23 جويلية 1784م ألقع مهزوما إلى إسبانيا دون تحقيق المكاسب التي كان يطمح إليها² ومن نتائج الحملة الإسبانية الثالثة على مدينة الجزائر نذكر:

- ✓ استشهاد نحو ثلاثين (30) رجلا من رجال السفن الجزائرية ومائة (100) رجل من المدينة.
- ✓ لم يعلن الإسبان عن خسائرهم، وإنما أعلنوا أنهم أطلقوا على مدينة الجزائر التي لم يصيبوها أكثر من خمسة عشر ألف (15000) قنبلة وقذيفة مختلفة.
- ✓ لقد فهمت إسبانيا الوضعية على حقيقتها وأدركت أخيرا أنها لن تنال من الجزائر منال³.
- وفي الأخير تمكن الذي محمد بن عثمان على إرغام مملكة إسبانيا العنيدة على قبول الأمر الواقع، والاستجابة لمطالبه من أجل إقرار السلام وعقد الصلح، وعليه نطرح السؤال التالي: كيف تم هذا الصلح؟ وماهي بنوده؟.

4. معاهدة الصلح بين إيالة الجزائر ومملكة إسبانيا (1786م):

بعد فشل جميع الحلول العسكرية الإسبانية على إيالة الجزائر فكرت في وسائل أخرى ومنها التفاوض مع الداوي محمد بن عثمان، وعلى هذا الأساس وصل إلى مدينة الجزائر في أوائل شهر جوان عام 1785م مندوبان ساميان وهما "الكونت ديسبيلي" (d'Expily Conte) و"الأميرال مزاريدو" (Mazarredo) للبحث عن وسيلة فعالة لتسوية الخلاف القائم بين البلدين، وعليه فقد استعان المبعوثان الإسبانيان بالقنصل الفرنسي "دي كارسي"⁴ (De Kersey)، وهذا مع رفض الداوي لهذه المفاوضات في البداية، لكن بتوسط من القنصل الفرنسي "دي كارسي" الذي تجمعته علاقة طيبة مع الداوي قبل هذا الأخير توقيع المعاهدة يوم 17 شوال 1200هـ / 14 جوان 1786م وهي معاهدة سلم وصداقة مع الملك دون كارلوس الثالث (1759-1788) ملك إسبانيا بعد قبوله شروط قاسية⁵.

¹ - Venture de Paradis, OP.Cit, p.165.

² - عثمان سعدي، المرجع السابق، ص414.

³ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص519-520.

⁴ - مولاي بلحميسي، "صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الإسبانية (معاهدة 1786 بين الجزائر وإسبانيا سبب إبرامها - مضمونها- نتائجها)"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 11، جوان 1974، ص12.

⁵ - حفيظة خشمون، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2006-2007م، ص26.

وبناء على ذلك فقد احتوت هذه المعاهدة على خمسة وعشرون (25) بندا تناولت مسائل عديدة تتمحور أساسا حول الملاحة البحرية والمبادلات التجارية ووضعية الجالية الإسبانية والصلاحيات الممنوحة للقنصل الإسباني، وفيما يأتي أهم ما اشتملت عليه بنودها الخمسة والعشرون (25)¹:

- تأكيد البنود: الاول، الثاني، الثالث، والسابع عشر على أن هذه المعاهدة هي معاهدة سلم بين الطرفين، والغرض منها هو ضمان حرية الملاحة للطرفين، وتنمية التبادل التجاري بينهما مع بيان إجراءات تفتيش السفن وإمكانية إلتهائها إلى المرفئ التابعة للطرفين مع شرط التعامل بالمثل.

- أكد البنود الرابع، والثامن على توفير الحماية لسفن الطرفين داخل الموانئ أو عند مغادرتها، مع الالتزام بعدم تقديم يد العون للدول المعادية لأحدهما.

- تضمنت البنود: السابع، والتاسع، والثامن عشر الحديث على مسألة تنظيم الرسوم الجمركية وإجراءات شحن البضائع بينهما².

- ركزت البنود: العاشر، والثاني عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، والتاسع عشر على تحديد صلاحيات القنصل الإسباني بالجزائر، كما حددت وضعية الرعايا الإسبان بالجزائر.

- بينما ركزت البنود: الحادي عشر، والثالث عشر، والسادس عشر على مسألة حرية ممارسة الشعائر الدينية للرعايا الإسبان بالجزائر.

- أما البنود العشرون، والواحد والعشرون فقد أشارا إلى قضية جد حساسة وهي جوهر الصراع بينهما، وهي قضية احتلال الإسبان لوهران والمرسى الكبير إذ أشارا إلى إبقاء الوضع على ما هو عليه، فضلا عن ذلك ضمان عدم مهاجمتهما والتضييق عليهما من طرف الجزائر، في المقابل امتناع الإسبان عن إرسال أي سفينة عسكرية إلى الجزائر .

- في حين تناولت البنود: الثالث والعشرون، والرابع والعشرون، والخامس والعشرون الإجراءات المتخذة في حالة تجدد العداء بين البلدين حيث يمنح رعايا الطرفين مهلة ثلاثة أيام لتسوية أعمالهم والمغادرة³.

خلاصة القول فيما يخص أرباح إيالة الجزائر والداي محمد بن عثمان باشا من هذه المعاهدة، فإنها تمثلت في أموال ضخمة دفعها الإسبان مقابل السلام البحري وليس على مستوى البر أي جزئي مع الإسبان، وحسب "الزهار" فإن الإسبان قد دفعوا غرامة الصلح وقد كانت عبارة عن صناديق مملوءة بالمال، وهذا دون احتساب ما دفع الإسبان من أجل تحرير أسراهم⁴.

¹ - صباح نوري هادي العبيدي، " معاهدة 1786م محاولة لتهذيب الصراع بين إسبانيا والجزائر"، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد 3، العدد 6، السنة الثالثة، تشرين الأول 2016، ص 247-248.

² - مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 13-19.

³ - صباح نوري هادي العبيدي، المرجع السابق، ص 248.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 34.

5. تحرير مدينة وهران سنة 1792م:

لقد عمد الإسبان على الإخلال ببنود معاهدة الصلح 1786م المتمثلة في بند إخلاء وهران والمرسى الكبير، وعلى إثر ذلك قرر الداوي محمد بن عثمان باشا فرض حصار عسكري على مدينة وهران بمساعدة الباي محمد بن عثمان الكردي، لكن حدث ما ليس في الحسبان وبشكل مفاجئ توفي الداوي محمد بن عثمان باشا وهذا قبل تحقيق غايته وهي تحرير وهران والمرسى الكبير من الإسبان¹، وعن وفاته يذكر "ابن سحنون" فيقول: "... فلم نشعر بشيء حتى أتانا الخبر بأن قد مات السلطان المعظم والملك المكرم السيد محمد بن عثمان - أفاء الله عليه ظلال الأمان - يوم الثلاثاء التاسع من ذي القعدة، وهو إذ ذاك أول من يوليو...²، وحسب "دوغرامون" فإن وفاة الداوي محمد بن عثمان باشا كان يوم 12 جويلية 1791م، ويضيف أن سبب وفاته هو مرض الزحار (الالتهاب المعوي) الذي كان يعاني منه الداوي في أيامه الأخيرة، وفي إشارة منه أن الداوي الذي خلفه هو "حسن" الذي كان يتولى منصب الخزانة³.

ونتيجة للحصار الذي فرضه الباي محمد بن عثمان الكردي على مدينة وهران والمعارك المتواصلة فقد قبلت إسبانيا الصلح الذي كان في 09 ديسمبر 1791م، وكان هذا بمراعاة الشروط التالية:

- 1- تنسحب إسبانيا من وهران والمرسى الكبير، دون قيد أو شرط.
 - 2- تدفع إسبانيا لخزينة الجزائر إتاوة سنوية تقدر بمائة وعشرون ألف (120000) فرنك .
 - 3- تُرجع إسبانيا للجزائر كل القنابل والمدافع والذخيرة التي غنمتها عند استرجاعها لوهران والمرسى الكبير.
 - 4- تحمل سفينة إسبانية بصفة رسمية إلى استانبول مفتاحين ذهبين رمز استسلام وهران والمرسى الكبير، مع جرتين من ماء عيون وهران للسلطان العثماني كبشرى للصلح الذي قام بين البلدين.
- في حين تقبل الجزائر مقابل ذلك:

- 1- أن يكون لإسبانيا مركز تجاري في بلدة "جامع الغزوات".
 - 2- أن تشتري إسبانيا من الجزائر ثلاثة آلاف (3000) كيلة من القمح سنويا.
 - 3- تباشر إسبانيا في صيد المرجان على الساحل الغربي لإيالة الجزائر⁴.
- وعليه فقد بدأ جلاء الإسبان من وهران يوم 17 ديسمبر 1791م، أما فيما يخص دخول محمد بن عثمان الكردي إلى وهران على رأس جيش من المجاهدين الجزائريين يوم 24 فيفري من سنة 1792م⁵. وحول هذا الفتح العظيم والذي بموجبه استرجعت إيالة

¹ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 520-526.

² - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط01، 2013، ص 307-308.

³ - De Grammont, OP.Cit, p.341.

⁴ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 526.

⁵ - أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص 527.

الجزائر مدينتي وهران والمرسى الكبير و بذلك فقد استكملت سيادتها الترابية، وفي هذا الصدد يقول محمد بن يوسف الزياتي: " الحمد لله فتحت وهران وأعادها الله للمسلمين، وخرج منها الكفار أدلة صاغرين، في سعادة المعظم، السلطان الأعظم،... السيد سليم (نصره الله) في دولة المعظم الأرفع والهمام الأنفع، حسن باشا أيده الله على يد محيي الدين كثير الغزو والجهاد، وقامع أهل البغي والفساد، محمد باي وفقه الله بتاريخ الرابع من رجب سنة 1206هـ¹."

6. خاتمة:

من خلال ما تم التطرق إليه في هذه الدراسة خرجنا بمجموعة من النتائج والتي تجيب بالدرجة الأولى على الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة وهي على النحو التالي:

- لقد طبع على العلاقات الجزائرية الإسبانية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي الصراع العسكري، وهذا من خلال الحملات العسكرية المتعددة والمتتالية من الجانب الإسباني على مدينة الجزائر في السنوات (1775-1783-1784م)، لكنها باءت بالفشل الذريع وهذا بسبب استعداد الداوي محمد بن عثمان باشا المحكم وحنكته الحربية بمعية رجال حكومته وقاداته في التصدي لهذه الحملات، وبالتالي حماية الثغور البحرية لإيالة الجزائر من الخطر الصليبي.
- لقد نجم عن هذه الحملات الإسبانية الفاشلة على مدينة الجزائر توقيع معاهدة الصلح سنة 1786م، والتي كانت بمثابة الضربة القاضية على المصالح الإسبانية في مدينة وهران والمرسى الكبير، وبالتالي فقد أبقت على إثرها العلاقات الجزائرية الإسبانية على حالتها السلمية إلى غاية وفاة الداوي محمد بن عثمان باشا سنة 1791م.
- بروز الباوي محمد بن عثمان الكردي بصفته القائد العسكري الذي حرر مدينة وهران والمرسى الكبير من قبضة الإسبان في شهر فيفري عام 1792م، وبالتالي استكملت إيالة الجزائر سيادتها الجغرافية.

¹ - محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح. تق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط01، 2013، ص268.

7. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش ابن عاصم

أولا.المصادر:

- 1- التلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجيلاني بن رقية، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تعليق: خير الدين السعيد الجزائري، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2017.
- 2- الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق و تقديم: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط01، 2013.
- 3- الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)، الجزائر، 1974.
- 4- الزباني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط01، 2013.
- 5- مؤلف مجهول، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، دراسة وتحقيق: رياض بولجال رسالة ماجستير في الدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2009 - 2010.

6-Vanture de Paradis, Alger au XVIII e siècle, édition Bouslama, Tunis, (s,d).

7-Jeronimo Conestaggio, relation des préparatifs faits pour surprendre Alger, Traduite de L'italien Par H.-D. DE Grammont, libraire-Éditeur Place de gouvernement, Alger, 1882.

ثانيا.المراجع:

- 8- بوعزيز يحيى، المراسلات الجزائرية الإسبانية في الأرشيف الوطني لمدريد (1780 - 1798م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- 9- سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954، دار الأمة، الجزائر، ط01، 2011.
- 10- العسلي بسام، الجزائر والحملات الصليبية، دار النفائس، لبنان، ط3، 1986.
- 11- العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر - تونس - المغرب الأقصى)، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط06، 1993.
- 12- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 - 1792م)، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)، الجزائر، (د.ت).
- 13- وولف جون - ب-، الجزائر وأوروبا (1500 - 1830م)، ترجمة وتعريب: أبو القاسم سعد الله، دار عالم المعرفة، الجزائر، (طبعة. خاصة)، 2009.

14- De grammont, Histoire d'alger sous la domination turque (1515-1830)Ernest le toux, éditeur 28, rue Bonaparte, paris, 1887.

ثالثا. الرسائل الجامعية:

15- خشمون حفيظة، مهام مفتديي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2006-2007م.

رابعا. المقالات:

16- ابلاي أسماء، " التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م قراءة في الدوافع والنتائج"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 02، جامعة غرداية، 2017.

17- بلحميسي مولاي، " صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الإسبانية (معاهدة 1786 بين الجزائر وإسبانيا سبب إبرامها - مضمونها- نتائجها)"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 11، جوان 1974.

18- بن عتو بلبروات، "الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته (1766-1791)"، مجلة عصور، العدد 6-7، جوان - ديسمبر 2005.

19- تومي الطاهر، "حملة الكونت أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775م"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 13-14، ديسمبر 2016.

20- سعيدي خير الدين، " الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1775م) من خلال مخطوط- الزهرة النيرة- لأبن رقية التلمساني"، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 29، جامعة إسطنبول، السنة التاسعة، ديسمبر 2017.

21- العبيدي صباح نوري هادي، " معاهدة 1786م محاولة لتهدئة الصراع بين إسبانيا والجزائر"، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد 3، العدد 6، السنة الثالثة، تشرين الأول 2016.

22- قنون حياة، " التواجد الإسباني في الغرب الجزائري خلال الفترتين العثمانية والفرنسية"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 5، جامعة سيدي بلعباس، 2013.

23-Ercumend kuran, « l'expédition espagnole contre Alger en 1775,d'après 22-les manuscrits Turcs », revue d'histoire Maghrébine, n 35- 3 6,décembre, Tunis, 1984 .

24-L.ch.Fèraud, « les trois attaques des espagnoles contre Alger au XVIII EME siècle », REVUE AFRICAINE, N20, Alger, 1876.